توظيف اللامتماثل في الإستراتيجية الأميركية الشرق أوسطية
أنموذج : "داعش"

د. عادل عبد الحمزة ثجيل البديوي
جامعة بغداد– كلية العلوم السياسية

ملخص

تعد منطقة الشرق الأوسط أهمية حيوية لإستراتيجية الولايات المتحدة الأميركية العالمية، لما تمتاز به هذه المنطقة من خصائص ومؤهلات جيوستراتيجية بما تمثله من أهمية تساعد على الإدارة الإستراتيجية للمصالح الجيوبوليتيكية في المنطقة والعالم، وأهمية اقتصادية إذ يوجد فيها اكبر مخزون للطاقة الذي يعتمد عليه الاقتصاد الأميركي والعالمي، وأهمية أمنية ولاسيما وجود إسرائيل الذي تشكل جزء من الأمن القومي الأميركي، لتشكل هذه القضايا مجتمعة أولوية إستراتيجية عمدت الولايات المتحدة الأميركية إلى توظيف العديد من الأدوات والوسائل لتحقيقها والحفاظ عليها. وكان من بين تلك الوسائل هو توظيف الإرهاب بأداته الجديدة "داعش" لإعادة رسم وهيكلة المنطقة من جديد سواء على المستوى السياسي أو الفكري أو الثقافي، بل قد يتعدها ليصل إلى المستوى الجغرافي وبما يتناسب والأهداف والمصالح الأميركية.

Summary

The Middle East is a vital region for the strategy of the United States of America because this area has a geo-strategically qualifications and characteristics, which means, the possibility of the strategic management of geopolitical interests in the region and the world. Also, This region has economic importance, because it has huge oil reserves,

priorities). Among those means is hiring a new tool of terrorism which called "Da'ash" or "ISIS" to redraw and restructure the region, whether at the political, intellectual or cultural level, or it may extend to the geographical level which commensurate with the goals and interests of the US and security importance, in particular the existence of Israel, which forms a part of the US National Security. Therefore, the United States proceeded to maintain and control over this region as one of the strategic priorities. Therefore, the US administration used a variety of means to achieve it (strategic .

المقدمة

لا يقتصر تحقيق الأهداف والمصالح لاسيما للدول العظمى، على توظيف الأدوات والأساليب بالطرق التقليدية المعروفة، بل وظفت هذه الأساليب والأدوات بفكر جديد وبطرق استراتيجيه جديدة لم تكن متوقعة أو معهودة من قبل، ولاسيما إذا كانت النتائج المترتبة على هذا التوظيف الجديد ذات منافع عظيمة ونتائج كبيرة، تؤدي إلى تحقيق الأهداف والمصالح وإدامة السيطرة والهيمنة والقيادة العالمية منها والإقليمية، بحيث يؤدي هذا التوظيف إلى التحكم والسيطرة بجميع المسارات والتفاعلات العالمية والإقليمية بل وحتى التفاعلات الداخلية للدول نفسها، ولاسيما في تلك الأقاليم والدول التي تحتل أهمية جيواستراتيجية في أجندات القوى الموجهة للنظام الدولي ، ويأتي في مقدمة تلك الأقاليم إقليم الشرق الأوسط، الذي شكل الأهمية الحيوية للولايات المتحدة الأميركية بعدّها القوة العظمى الوحيدة المتربعة على قمة الهرمية الدولية، والتي عملت على ربط الأمن لهذا الإقليم بأمنها القومي، وعمدت إلى توظيف وتكييف العديد من الأدوات والأساليب الجديدة التي تتيح بقاءها واستمرارها كفاعل وطرف رئيس في المنطقة وبما يضمن إبعاد أي قوة دولية أو إقليمية تحاول إيجاد النفوذ فيها، وبما يؤدي ويضمن كنتيجة إلى تحقق الرؤى والأهداف الأميركية.

وضمن هذا الإطار فان الإشكالية التي تنبع منها الدراسة، هو إن الإرهاب يشكل تحدٍ

حقيق وعدو فعال للأهداف والمصالح الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، غير انه وفي الوقت نفسه فانه بدأ – الإرهاب– يحقق تلك الأهداف والمصالح الأميركية برؤية وبآلية جديدة وبتوظيف جديد .

ولتفسير تلك الإشكالية انطلقت الدراسة من فرضية مفادها: إن الولايات المتحدة الأميركية وظفت "داعش" في منطقة الشرق الأوسط لإعادة رسم وهيكلة المنطقة من جديد وبما يتناسب والأهداف والمصالح الأميركية الحالية والمستقبلية.

وللإجابة على هذه الفرضية قسمت الدراسة على ثلاث محاور أساسية:

المحور الأول/ الحرب اللامتماثلة.

المحور الثاني/ المصالح والأهداف الأميركية في منطقة الشرق الأوسط.

المحور الثالث/ "داعش" والتوظيف الأميركي.

المحور الأول/ الحرب اللامتماثلة.

يمثل هذا المفهوم تطور لأدوات وأساليب واستراتيجيات وتكتيكات إدارة الحروب لتحقيق الأهداف والمصالح. سواء من قبل الفواعل الدولية أو غير الدولية.

١. مفهوم الحرب اللامتماثلة:

تمثل الحرب اللامتماثلة أو اللامتناظرة في الواقع شكل قديم جدا من أشكال الحروب لاسيما في المضمون والمحتوى، ابتدعها الاستراتيجي الصيني "سان تزو" عام ٥٠٠ق.م، وقد وضح بأنه من غير المجدي الدخول في قتال ضد قوة عسكرية أقوى بنفس الأسلحة "المتناظرة" عليك ان تستعمل أسلوبا مختلفا يستهدف وحدة المجتمع الذي أنتج القوة العسكرية، فبمجرد تحطيمك التماسك الاجتماعي سرعان ما تتفكك القوة العسكرية أيضا، ليصبح السكان هدف العمليات، فغاية هذه الحرب تمزيق البنيان الاجتماعي وتحطيمها.[١] وقد أشار العديد من المفكرين الاستراتيجيين إلى هذا المضمون في كتاباتهم العسكرية أمثال "ميكافيللي" و "كلاوز فيتز" و"ليدل هارت" وغيرهم.

غير أن أول من استعمل المصطلح في عالم السياسة "جي أر مارك" عام ١٩٧٥. في مقالته الموسومة "لماذا الأمم الكبيرة تفقد الحروب الصغيرة" وأشار بان الحروب "اللامتماثلة" هو التفاوت الكبير وعدم التكافؤ الهام في نسب القوة بين الأعداء والخصوم الممثلين للصراع. ولكن تم تجاهل تحليل "ماك" الى حد كبير في ذلك الوقت.[٢]

لكن نهاية الحرب الباردة فرضت على الولايات المتحدة الأميركية إعادة تقويم المواقف والتحديات الممكن أن تتعرض لها في المستقبل. وكان على رأس تلك التحديات "الحرب اللامتماثلة"، فمنذ منتصف عام

١٩٩٠ ، ومفهوم "الحرب اللامتماثلة" اخذ يلقي اهتماما متزايدا في الكتابات الأكاديمية والوثائق والتقارير الحكومية في الولايات المتحدة الأميركية لاسيما الاهتمام المتزايد من قبل البنتاغون.[٣] اذ خلصت "هيئة التقديرات في البنتاغون" وهي مجموعة تخطيط استراتيجي، اشرف عليها الجنرال "روبرت ايفاني" قائد الكلية الحربية. من تقدير الموقف بالقول : " إننا نستطيع أن نفترض أن أعدائنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء) ولذلك فليس من المتوقع أن يحاول طرف منهم مواجهتنا في حرب تقليدية تعتمد على تشكيلات الدبابات والقوات الجوية والبحرية، ذلك إن النظر إلى هذا الميادين كلها يظهر تفوقا ساحقا في موازين القوة لصالح الولايات المتحدة، ويترتب على ذلك إن من يريد مواجهتنا من الأعداء أو الخصوم عليه أن يكشف وسائل جديدة تمكنه من تهديد مصالحنا أو قواتنا أو مواطنينا، وعليه أن يتأكد ان هذه الوسائل تستطيع ان تحقق له ميزات ينفذ بواسطتها إلى مواقع ضعف تكون عندنا".[٤]

وفي ضوء هذا الفهم الجديد للمخاطر، والتقدير للمواقف، جاءت المناقشات والتعريفات التي حاولت توضيح هذا المفهوم واستبيان عناصره ومكوناته والأسس التي يرتكز عليها. ومنها عرفت "الحرب اللامتماثلة" بأنها تعني ، لجوء قوة غير مسلحة أو ضعيفة التسليح إلى مهاجمة نقاط الضعف في عدو أقوى نسبيا أو أفضل تسلحا بأسلوب غير تقليدي أو مألوف ورخيص. وينطبق هذا النوع من القتال على كافة ما تقوم به الجماعات المسلحة من عمليات عسكرية كأحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١.[٥] وهناك من الكتاب العسكريين من يرى إن المصطلح ينسحب على كل موقف عسكري يتمكن فيه العدو الأضعف من إحراز نقطة تقدم أو مزية قتالية معينة أو نصر عسكري بوسائل غير مألوفة ورخيصة كزرع الألغام، نظرا لأنه سلاح رخيص وغير مكلف وتصعب مواجهته.[٦] وعرفت أيضا أنها الحرب التي تقع بين طرفين أو أكثر والتي تكون فيها نسبة القوة العسكرية مختلفة اختلافا كبيرا، فضلا عن اختلافهما الكبير في الإستراتيجية والتكتيك.[٧]

وعرفت "الحرب اللامتماثلة" بأنها تلك الحرب التي تصف الصراع الذي فيه تختلف مصادر موارد المتحاربين اختلافا جوهريا سواء على مستوى المقاومة أو التفاعل، وتتميز بمحاولة استغلال نقاط ضعف بعضهم البعض. وتتضمن هذه الصراعات استراتيجيات وتكتيكات الحروب غير المألوفة وغير التقليدية. فالمقاتلون الأضعف يحاولون

استعمال هذه الإستراتيجية لمعادلة التوازن في الكمية والنوعية لدى الخصم.[٨]

وعرفها كلا من "ميتز Metz" و"جونسون Johnson" بان اللاتماثل يُفكر ويُنظم ويُعمل بشكل مختلف عن الخصوم والأعداء من اجل تعظيم وزيادة المكاسب الخاصة، واستغلال نقاط الضعف لدى الخصم، وتحقيق المبادرة، والحصول على قدر اكبر من هامش حرية العمل.[٩]

كما عرفها الكولونيل الأميركي "روبرت ساو" بأنها : الحرب التي فيها أثنين أو أكثر من الأطراف المتحاربة غير متطابقة ومتكافئة في قدراتها العسكرية والأساليب المتعارف عليها من الاشتباك، بحيث إن القوة الأضعف عسكريا يجب أن تضغط وتقلل من الميزات الخاصة للجانب الأقوى، وتستغل بشكل خاص نقاط الضعف لدى الخصم إذا ما أرادت أن تنتصر.[١٠] أما "ديفيد بوفالو" فقد عرفها بأنها، حرب غير تقليدية بين قوة متفوقة عسكريا وأخرى ضعيفة تركز في شن هجماتها على السكان.[١١]

وفي ضوء هذا الفهم والإدراك عرف الجنرال "هنري شلتون" رئيس هيئة أركان القوات المشتركة الأميركية الأسبق الحرب اللامتماثلة بأنها " محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة الأميركية أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقاط ضعفها، معتمدا في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها. وعدم التوازي يعني إن يستخدم طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز، لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية، وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول، ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب، من الإستراتيجية إلى التكتيك، إلى العمليات لعرض أفق من البدائل طار إليها خيال لا يخطر على البال منطقيا ولا يطرح نفسه عمليا في التقديرات التي تستطيع تصورها".[١٢]

وهذا الإدراك للحرب اللامتماثلة ذهبت أليه "المراجعة الإستراتيجية المشتركة" للولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٩٩، عندما عرفتها بأنها : محاولة الالتفاف وتقويض قوة الولايات المتحدة من خلال استغلال نقاط ضعفها عن طريق استخدام الأساليب التي تختلف كثيرا عن أساليب الولايات المتحدة المتوقعة من العمليات. فمنهج اللاتماثلية يسعى بشكل عام إلى التأثير النفسي الكبير، كالصدمة وإثارة الفوضى والارتباك الذي يؤثر على مبادرة الخصم، وحرية العمل وحتى الإرادة. إذ تطلب الأطراف اللامتماثلة تقدير نقاط ضعف الخصم وتوظيف الوسائل غير التقليدية بطرق أكثر إبداعا في التكتيك، والأسلحة،

والتكنولوجية، والتي يمكن تطبيقها على جميع المستويات من الحرب الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية، وعبر طائفة من العمليات العسكرية.[١٣]

وفي ضوء هذه التعريفات حدد "ديفيد كيلكولان" أربع أبعاد للحرب اللامتماثلة وهي : أولا، عدم التماثل التكنولوجي. ثانيا، التباين في الأسلوب. ثالثا، عدم التماثل في المصالح. وأخيرا، عدم التماثل في الثقافة والقيم. ولكن عدم التماثل في التكنولوجية هو الأكثر وضوحا.[١٤]

وعلى أساس ما تقدم فان عدم التماثل يعني عدم وجود أساس مشترك للمقارنة فيما يتعلق بالجودة، أو من حيث العمليات والقدرات.[١٥] فضلا عن الاختلاف في التكلفة وتعدد الأبعاد، فالحرب اللامتماثلة قياسا بالحرب التقليدية هي غير مكلفة للفواعل الضعيفة إلا أنها مكلفة للفواعل القوية أي الدول تكلفة عالية، بسبب سعي الدول لتأمين كافة المجالات التي يمكن أن يستخدمها أصحاب الهجمات اللامتماثلة، ويتضح ذلك عندما تشن الحروب بشكل عام على المنظمات الإرهابية، فعندما تخاض الحرب ضد دولة نظيرة، فكل طرف في الصراع لديه مخاطر مماثلة تكون على المحك كالسكان والأرض والمصالح، وعندما يكون الفاعل من غير الدول كالمنظمات الإرهابية فان الأخيرة لا يوجد لديها سكان أو ارض مهددة بالخطر، ومن ثم تنخفض تكلفة شن الحرب لديها. كما إن الحرب اللامتماثلة هي حرب متعددة الأبعاد وغير شكلية فهي شبكة من التهديدات المختلفة بينما الحرب التقليدية خطية في الطبيعة.[١٦]

ووفقا لذلك فقد اختلفت اتجاهات التركيز والمناقشة ما بين الكتاب الأكاديميين والعسكريين في تناول موضوع الحرب اللامتماثلة، ومن خلال ارتباطها بحرب العصابات والتمرد والإرهاب ومكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد. اذ يميل الكتاب العسكريين إلى استعمال مصطلح الحرب اللامتماثلة للإشارة إلى الطابع غير المباشر للاستراتيجيات المتعددة التي تتبنها الفواعل الضعيفة أو حتى طبيعة العدو نفسه. فمثلا متوقع أن يكون الأعداء غير متماثلين بدلا من التركيز على ميزان القوى. أما الكتاب الأكاديميين فيميل التركيز أكثر على شرح وتوضيح لغز نصر الفاعل الضعيف في الحرب، فإذا القوة تُفهم تقليديا فان هذا يفضي إلى نصر الجانب الأقوى في الحرب، لكنها تهتم بشرح كيف ينتصر ضعيف على قوي؟ وتشمل التفسيرات الرئيسة الآتية:[١٧]

١.التفاعل الاستراتيجي.
٢.رغبة واستعداد الطرف الضعيف لتحمل المعاناة وتحمل التكاليف حتى لو كانت كبيرة.
٣.الدعم الخارجي للفواعل الضعيفة.
٤.التردد وعدم الرغبة في تصعيد العنف من قبل الجهات الفاعلة القوية.
٥.ديناميكيات الجماعة الضعيفة الداخلية.

وعليه فان منظري الحرب اللامتماثلة يتحدثون عن مجال غامض من الأعداء لا يتضمن تشخيص للأهداف أو الأعداء، بل يتطرق إلى القيم وعلاقتها بالتكنولوجية، والى المساحات الجيوبوليتيكية التي يمكن أن تتحرك بشكل يخالف التوقعات مسببة بعض الكوارث للفواعل القوية كالقوى العظمى، وهو ما يركز عليه الباحث الأميركي "دان شواتر" وذلك في معرض إشارته إلى الإرهاب الذي يستخدم التقنيات السائدة والسهلة الاستعمال ولكن عبر قيم وأساليب جديدة.[١٨] لذلك فان هناك علاقة وثيقة بين الحرب اللامتماثلة والإرهاب، إذ تعد هذه الحرب من حروب الجيل الرابع والتي تمارس خارج قوانين الحرب. فالحرب اللامتماثلة يتم تنفيذها من قبل الفواعل خارج نطاق الدولة Non-state Actors، والتي تتصل معها مصالح أو تتعاطف معها دول فاعلة State Actors، مما قد يعبر عنه حرب بالوكالة. وعادة ما يتم ذلك لإعطاء القدرة على الإنكار للدول الفاعلة.[١٩]

لقد غيرت هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ العديد من المفاهيم، فهذه الهجمات أظهرت للغرب بان العدو الجديد لا يلعب بأي قواعد تقليدية، أو احترام للحدود الوطنية، وعلى الرغم من انه لا يمتلك تكنولوجية متقدمة، وقوة عسكرية كبيرة، إلا انه تمكن من نشر المزيد من الدمار على أراضي الولايات المتحدة، ففي غضون ساعة ألحق دمار يعادل ما يقارب نصف قرن من الحرب الباردة.[٢٠] لتظهر هذه الهجمات بان الجيش أصبح ليس لديه القدرة بان يكون بمثابة العازل بين الأعداء والشعوب. هذه الصدمة النفسية الغربية دفعت معظم النقاشات عن الحرب اللامتماثلة إلى إدراك مفاده إن الحرب قد تغيرت في الإستراتيجية والتكتيك والأمن والتهديدات والى الأبد.[٢١] وفي ضوء هذا التغيير لمضمون الحرب أصبح الهدف وعلى نحو متزايد ليس قتل الناس أو احتلال الأرض فحسب، بل استنزاف قدرات الأعداء والخصوم على استخدام قواتها العسكرية التقليدية مهما كانت درجة تفوقها، واستنزاف إرادته بذلك.

إذا ومن خلال ما تقدم فان الحرب اللامتماثلة هي عدم مواجهة العدو من نقاط قوته والالتفاف حولها واستغلال نقاط ضعفه وتوجيه ضربه لها. إنها عملية تفكير وتخطيط

في غير المتوقع، ليكون التطبيق وبأسلوب وبطرق غير متوقعة.

٢. خصائص الحرب اللامتماثلة:

بالاستناد إلى نص تقرير "هيئة التقديرات" في البنتاغون ترتسم ملامح وخصائص الحرب اللامتماثلة بالاتي:[٢٢]

١. ليس هناك ميدان يتقابل فيه المحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالالتفاف.

٢. إن السلاح ليس متماثلا حتى وان اختلفت درجات قوته.

٣. ليس هناك صله بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.

٤. إن حفظ السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي منطق أو تصور يمكن توقعه. مع أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب، إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير في لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو أحد.

٥. لن هذا النوع من الحرب ليس مقيدا بمذاهب مصنفه بالحرب، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية، ما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.

٦. هذا النوع من الحروب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة والمجازفة لان الخسائر بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، ومن ثم فان أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها. لذلك فان استعداده لأقصى المخاطر يجعل ما لا يجوز التفكير فيه واردا كما يجعله ممكن حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات.

٧. هذا النوع من الحروب يمارس دوره بخلط مزيج قوي المفعول بين ما هو مادي وما هو نفسي، وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب اللامتماثلة التي يستعملها.

٨. يمتاز العدو في هذه الحروب بروح معنوية عالية لدى أفراده.

٩. كما تقتضي هذه الحرب إرادة قوية وتنظيما جيدا وصبرا يراقب على مهل لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه أن يواجه فعلا حيث يتوقع الطرف الآخر أن يجيء زمانا ومكانا.

المحور الثاني: المصالح والأهداف الأميركية الشرق أوسطية.

تظل منطقة الشرق الأوسط واحدة من أهم مناطق التفاعل الاستراتيجي، نتيجة ما تحظى به من اهتمام عالمي من جميع القوى التي تناوبت على القيادة العالمية، أو التي حاولت مشاطرتها، أو التي تتطلع لأخذ زمام المبادرة

لاحقا. لهذا نلحظ اهتماما استثنائيا في التخطيط الاستراتيجي للتواجد في هذه المنطقة والهيمنة عليها، مرة لأنها تحظى بالأهمية الجيواستراتيجية، ومرة لأهميتها الجيواقتصادية، بل لا نبالغ بالقول أنها تجمع كل ذلك.[٢٣]

وفي ضوء هذه الأهمية، أظهرت الولايات المتحدة الأميركية الأهمية الكبيرة لمنطقة الشرق الأوسط في أجندتها السياسية وتصوراتها الإستراتيجية، إذ أعلنت وبوضوح إن أي محاولة من أية قوة خارجية للسيطرة على هذه المنطقة سيكون بمثابة تهديد للمصالح الحيوية الأميركية، أي عملت للربط بين الأمن القومي الأميركي والأمن القومي لهذه المنطقة الحيوية.[٢٤] والمقصود بالمصالح الحيوية في الإدراك الأميركي هي "تلك التي تلزم نتائجها الولايات المتحدة بالاستعداد لتعزيزها بشكل انفرادي وبجميع الوسائل الضرورية، ويرقى هذا في بعض الأحيان إلى الخيار العسكري".[٢٥] وعليه تجسد أهم تلك المصالح الحيوية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط بالاتي:

أولا/ المصالح الجيواستراتيجية:

ويقصد بالمصالح الجيواستراتيجية في الإدراك الأميركي بأنها: الإدارة الإستراتيجية للمصالح الجيوبوليتيكية.[٢٦] وعليه فان التواجد الأميركي في هذه المنطقة تتيح لها التحكم بالمحيط الإقليمي، إذ تعد المنطقة بالنسبة للإستراتيجية الأميركية القاعدة الأكثر ضرورة في العالم في صراعها أو تنافسها مع القوى الكبرى الأخرى.[٢٧]

فالموقع الجيوبوليتيكي للشرق الأوسط يمثل القاعدة الأساسية التي تحدد علاقة الولايات المتحدة بمختلف مناطق العالم ودوله، اذ يقع في قلب العالم القديم –آسيا، وأفريقيا، وأوروبا–، والموقع الحضاري الذي يقع في وسط منطقة الحضارات القديمة والمتوسطة والحديثة، وكذلك وقوعه في مركز الحروب والأزمات العالمية والإقليمية والأهلية.[٢٨] وتجتمع فيه معظم شبكات المواصلات العالمية الجوية والبحرية والبرية، ويتحكم في عدد من الممرات المائية المهمة مثل مضيق هرمز، وباب المندب، وجبل طارق، فضلا عن قناة السويس التي تعد شريان حيوي للملاحة العالمية، مما يجعل منطقة الشرق الأوسط همزة وصل للتفاعلات الدولية.[٢٩] وهذا ما سلط عليه الضوء من قبل الرئيس الأميركي الأسبق "هاري ترومان" في ٦ نيسان/ ابريل ١٩٤٧ قائلا: "ان هذه المنطقة تقع عند ملتقى أهم طرق المواصلات الأرضية والجوية والبحرية، وهي بذلك منطقة ذات أهمية إستراتيجية عظيمة".[٣٠]

وعلى أساس هذه الحقائق الجيواستراتيجية عملت الولايات المتحدة الأميركية على تدعيم تواجدها في المنطقة من خلال:[٣١]

١. ضمان استمرارية انتفاع الولايات المتحدة بالقواعد والتسهيلات العسكرية التي حصلت عليها في دول المنطقة المختلفة.

٢. محاولة إقامة خطوط دفاعية متقدمة في المنطقة.

٣. دعم التفوق الاستراتيجي الإسرائيلي بعدّه الأداة الرئيسة للإستراتيجية الأميركية في المنطقة، وعنصرا من عناصر ردع القوى الإقليمية.

٤. تدعيم التعاون العسكري مع دول المنطقة من خلال معاهدات الدفاع المشترك والترتيبات الدفاعية الإقليمية، ومن خلال التعاون في مجال السلاح والإمداد بالخبراء العسكريين وإجراء المناورات العسكرية المشتركة مع قوات دول المنطقة.

٥. دعم قدرات القوات الأميركية على التدخل السريع في المنطقة أثناء الأزمات.

٦. محاصرة والضغط على نفوذ القوى الكبرى والإقليمية والحيلولة دون انتشاره.

ثانيا/المصالح والأهداف الاقتصادية:

وتتجسد أهم تلك المصالح والأهداف بالنفط، والذي يُعد عاملا من العوامل البنيوية لصلته بالاقتصاد الأميركي من جانب، وبالاقتصاد الرأسمال والغربي من جانب آخر. لذلك تجسدت الرؤية الأميركية في مسألة ضمان تدفق النفط الشرق أوسطي إليها والى حلفائها من أهم الضرورات الإستراتيجية، والتصدي لأي عقبات قد تحول دون وصول نفط المنطقة إلى العالم الغربي، وتُعد منطقة الخليج من أهم مناطق النفط في العالم ففيها ثلثي المخزون النفطي العالمي المعلن. وعليه اهتمت الولايات المتحدة بالسيطرة على النفط الخليجي، وعدته أحد المقومات الحيوية لأمنها القومي، ليس لسد احتياجاتها فحسب، بل للسيطرة على سوق الطاقة في العالم.[٣٢] ومن ثم السيطرة على توزيعه سواء لحلفائها أو منافسيها.

ومن هنا، فقد رفع "لكولكن مان" أحد خبراء الإستراتيجية الأميركية في حزيران؟/يوليو ١٩٩٠، مذكرة حول مفهوم الإستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، أكد بان الولايات المتحدة الأميركية قُبالة حقب عالمية جديدة، وأيضا نظام دولي جديد، يسيطر فيه مفهوم الاقتصاد والقوة الاقتصادية على ما عدا من المفاهيم والقوة العسكرية، حيث أوضح الخبير الاستراتيجي في مذكرته: إن من يسيطر على زمام المحركات الاقتصادية سيسيطر على زمام القوة الدولية الفعلية. ولذا أصبحت هذه الدول تبحث عن قوتها الاقتصادية،وعليه وضعت إدارة جوج بوش الأب خطة للسيطرة على المنطقة على أساس

أن أي قوة اقتصادية لن تستطيع ان تحقق قوتها من دون الاعتماد على نفط هذه المنطقة، ومن يسيطر على نفط هذه المنطقة سوف يسيطر على مصادر القوة الاقتصادية في العقود القادمة.[٣٣]

فضلا عن الفوائض النفطية الهائلة، إذ عادت دول الخليج اليوم إلى احتلال موقعها كجهات إقراض حيوية لسائر دول العالم، ومنها الولايات المتحدة الأميركية بالأخص التي تعتمد اعتمادا كبيرا على تدفقات الرساميل الأجنبية.[٣٤] إلى جانب ذلك تتمتع المنطقة بإمكانات مادية وتجارية جعلها محط أنظار الاستثمارات العالمية، وفي مقدمتها الاستثمارات الأميركية، فضلا عن كونها اكبر سوق استهلاكية في العالم.[٣٥]

ثالثا/ الأمن الإسرائيلي:

الأمر الذي يُعد حاسما بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية هو ضمان الأمن الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط.[٣٦] فدعم التفوق الاستراتيجي الإسرائيلي يُعد هدف رئيس بعدّه الأداة الإستراتيجية الأميركية الرئيسة في المنطقة، وعنصرا من عناصر الردع للقوى الإقليمية المعادية . فضلا عن إن إسرائيل هي القاعدة الإستراتيجية لا يمكن مقارنتها بأي علاقة مع أي من دول المنطقة، ومن هنا لا يمكن فصل الإستراتيجية الأميركية عن الإستراتيجية الإسرائيلية، فعناصر التخطيط الاستراتيجي لكليهما متداخلة ومترابطة. فضلا عن إن هذا الالتزام الأميركي بإسرائيل ليس نابعا فقط من كون إسرائيل تمثل حامية للمصالح الأميركية فحسب، بل تتأثر بالعوامل الداخلية كاللوبي، والعوامل الثقافية والدينية وغيرها.[٣٧]

لقد مثلت المصالح السابقة للولايات المتحدة الأميركية "ثالوث استراتيجي" تشكلت في ضوءها عصب الأهداف الإستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، ولكن ما لاحظناه ومنذ بداية الألفية الجديدة ولاسيما بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ دخول عنصر جديد متجسد بالقضاء على الإرهاب، حيث أصبح محور الإستراتيجية الأميركية في المنطقة، والذي يتيح لها في الحقيقة السيطرة وتحقيق ذلك "الثالوث الاستراتيجي" في منطقة الشرق الأوسط.

إن الخصائص والمصالح السابقة لمنطقة الشرق الأوسط جعلت الكاتب الأميركي "شانتال كوادرات" يصفها بـ"أهميتها الإستراتيجية عابرة الإقليمية"[٣٨] وفي ضوء هذه الأهمية المتزايدة للمنطقة وضحا مخططي السياسة الخارجية الأميركية "ريتشارد ن. هاس" و "مارتين انديك"، بان الشرق الأوسط : سيبقى ولعقود قادمة حاجة حيوية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية بالنظر إلى موقعه الجيواستراتيجي، وثروته النفطية والمالية،

والتزام الولايات المتحدة بوجود إسرائيل، وإمكانية خروج الإرهاب من المنطقة، وانتشار المواد والأسلحة النووية فيها. وأي خفض يطرأ على التدخل والتعاطي الأميركي سيعود حتما بالضرر على تلك المصالح جمعاء. لذلك أوضحا بأنه يجب أن يكون هدف الولايات المتحدة هو الحفاظ على انخراطهما في المنطقة.[٣٩] وهذا ما أكد عليه الرئيس الأميركي "اوباما" في ١٩ أيار/ مايو ٢٠١١ بقوله: " على مدى عقود من الزمن، انتهجت الولايات المتحدة العمل على مجموعة من المصالح الجوهرية في المنطقة هي مكافحة الإرهاب، ووقف انتشار الأسلحة النووية، وضمان حرية حركة التجارة، وضمان أمن المنطقة، والذود عن أمن إسرائيل، والسعي بسلام عربي إسرائيلي"[٤٠]

المحور الثالث: "داعش" والتوظيف الأميركي.

الولايات المتحدة الأميركية كقوة عظمى تمتلك من الأدوات والوسائل والإمكانات والقدرات ما تفتقر إليه باقي دول العالم الأخرى، تسخرها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في إطار رؤية وفكر وتفكير وتخطيط استراتيجي يتيح لها كدولة الاستغلال الأفضل لتلك الإمكانات والقدرات، والتوظيف الأمثل لتلك الوسائل والأدوات، وبما يضمن لها تحقيق الأهداف والمصالح التي ترنو إلى تحقيقها، سواء العالمية منها أو الإقليمية. ومن تلك الأدوات والآليات لتحقيق أهدافها هو عبر الفواعل خارج نطاق الدولة Non-state Actors، مثل تنظيم "داعش" في منطقة الشرق الأوسط لإعادة ترتيبه من جديد وبما يضمن تحقيق مصالحها فيه وإحكام سيطرتها عليه.

أولا/ الفواعل خارج نطاق الدولة Non-state Actors:

بدت الولايات المتحدة ومنذ أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، بتوظيف هذه الفواعل سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتحقيق أهدافها ومصالحها، فاعتماد على القوة العسكرية الأميركية المباشرة أو الاحتلال العسكري المباشر للدول أو الأقاليم لتحقيق تلك الأهداف كلف الولايات المتحدة خسائر هائلة في الأموال والأنفس، فضلا عن تصعد الرأي العام الداخلي والعالمي ضد هذه السياسات الانفرادية وهذا الاستعمال المفرط للقوة، وهذا ما كان واضحا في احتلالها لأفغانستان عام ٢٠٠١، والعراق عام ٢٠٠٣، مما جعل الإدراك الأميركي يتحول في استثمار الأدوات وعكس الاتجاه عن طريق استغلال الفواعل خارج نطاق الدولة في تحقيق أهدافه في منطقة الشرق الأوسط.

فالقوى الفاعلة خارج نطاق الدولة، هي جماعات تمتلك هوية مستقلة وتعمل في إطار منفصل عن نشاط الدولة، ويصنفها بعض فقهاء علم السياسة ضمن سياق الحركات الاجتماعية ومن أبرزها: الجماعات المتطرفة، والمجموعات العرقية والمذهبية المنظمة، والجماعات السياسية العابرة للحدود. وتمثل أهم التحديات من جهة القوى غير التابعة للدول خطر كبير على الأمن الوطني والإقليمي والعالمي. وقد أصبح لهذه العناصر دور لا يستهان به في الشرق الأوسط في مطلع القرن الحادي والعشرين، حيث تطور نفوذها وازداد تأثيرها في السياسات الإقليمية والدولية على نحو غير مسبوق.

واستقطبت هذه الظاهرة اهتمام الباحثين الغربيين الذين تناولوا ظروف ونشأة هذه القوى والمشكلات التي ارتبطت بظهورها، مثل إشكاليات: الشرعية، ونمط العلاقة مع الدولة، وتأثير هذه المجموعات على العلاقات الدولية وعلى منظومات الأمن الإقليمي.

ويمكن الحديث عن أنماط مختلفة من هذه القوى منها:العناصر الفاعلة التقليدية كالمنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية، والشركات متعددة الجنسيات. وبرزت في الآونة الأخيرة عناصر فاعلة جديدة من المجموعات التي تتمتع بالاستقلال التام عن تمويل الحكومة المركزية، وتتبنى سياسيات خارجية مستقلة عن سياسات الدول التي تنتمي إليها، وفي ضوء هذا فان هناك عناصر فاعلة ينحصر نشاطها في دولة واحدة مثل الجماعات السياسية أو مجموعات الضغط، وهناك قوى فاعلة عابرة للحدود، ويمكن تصنيف العديد منها على إنها قوى فاعلة مسلحة Armed Non-state Actors، وقوى فاعلة تنتهج العنف violence Non-state Actors، وتتبنى برامج سياسية تهدف إلى هدم الدول التي تعمل على أراضيها بهدف إقامة دول أخرى بديلة. ومثال ذلك القاعدة، و"داعش". فضلا عن هذه المجموعات فقد شهدت الآونة الأخيرة ظهور جيل ثالث من القوى خارج نطاق الدولة، والتي اصطلح على تسميتها "الفاعلون الافتراضيون"، وهي مجموعات منظمة لكنها لا تعمل عبر هيكل واضح، بل تنشط من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، إذ عززت مظاهر العولمة وتطور وسائل التواصل الاجتماعي تأثير هذه العناصر وقدرتها.[٤١] ومن ابرز هذه الفواعل خارج إطار الدولة هي تنظيم "داعش".

ثانيا/ "داعش" وآليات التوظيف:

تمثل "داعش" عصابات غير نظامية، سريعة الحركة والتنقل والانتشار والاختباء بين الناس، ولديها موارد مالية ومصادر تمويل، وأمامها حدود مفتوحة، ولديها القدرة على إثارة

الرعب وإحداث التدمير.[٤٢] وكلمة "داعش" هي مختصر للتسمية التي تطلقها على نفسها "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، واغلب عناصرها جاءوا بالأصل من تنظيم القاعدة التي سبق ان مولتها ودربتها وسخرتها الولايات المتحدة الأميركية في صراعها مع السوفيات في أفغانستان بقيادة "أسامة بن لادن".[٤٣]

تأسس التنظيم عام ٢٠٠٤ على يد "أبو مصعب الزرقاوي" تحت اسم "جماعة التوحيد والجهاد"، ثم ارتبط بتنظيم القاعدة أواخر ذات العام تحت اسم "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" وشهد التنظيم مراحل صعود وهبوط ارتبطت بالضربات التي وجهت له من قبل القوات الأميركية، وتبعا لتغير نمط القيادة داخل التنظيم ذاته، فبعد مقتل الزرقاوي في حزيران/يونيو ٢٠٠٦، جاءت مرحلة "أبو عمر البغدادي" و "أبو حمزة المهاجر" ومع سقوط هذه القيادات أصبح التنظيم أكثر سرية، وغدا "أبو بكر البغدادي" أميرا لما يعرف بـ"دولة العراق الإسلامية" وذلك بعد أن تغير اسمه من "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين". وقد أرسل البغدادي عناصر من تنظيمه إلى سوريا في منتصف عام ٢٠١١ لتأسيس "جبهة النصرة" وفي نيسان/ابريل ٢٠١٣ أعلن دمج وتوحيد "دولة العراق الإسلامية" و "جبهة النصرة" تحت اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" وهو ما رفضه "أبو محمد الجولاني" زعيم تنظيم "جبهة النصرة"، وهذا ما أفضى إلى إعلان "أيمن الظواهري" زعيم تنظيم القاعدة، بتحديد الولاية المكانية للبغدادي في العراق، كما حدد الولاية المكانية للجولاني بسوريا، وهو ما رفضه البغدادي، كونه لا يعترف بالحدود الجغرافية ويسعى لما يسميه تنظيمه "دولة الخلافة الإسلامية".[٤٤]

وتعتمد إستراتيجية "داعش" على استخدام النخبة المتشربة بالفكرة (الجهادية).[٤٥] ويتبنى التنظيم أطروحات نظرية متطرفة تجيز قتل المخالف له، حتى ضمن التيار (الجهادي) نفسه، فضلا عن تبنيه أساليب التفجير وسط المدنيين والتعذيب والاغتيالات، فضلا عن رفضه النظري للحدود القطرية والمشاريع المرتبطة به. واتبع التنظيم وسائل قطع الرؤوس على العلن للترهيب، فضلا عن تعذيبه المعتقلين، وصولا إلى التصفيات الجماعية.[٤٦] ويعد التنظيم في الوقت الراهن، التنظيم الأقوى والأكثر عتادا ورجالا وانتشارا بين أقرانه من التنظيمات المتطرفة في المنطقة.

وفي تطور كبير، قام تنظيم "داعش" يوم ١٠ حزيران/يونيو ٢٠١٤، بهجوم خاطف وسريع على مدينة الموصل تبعها انسحاب كامل للقوات المسلحة العراقية، نتج عنه سيطرة "داعش" على الموصل بكاملها، ومن ثم زحف

التنظيم إلى محافظات صلاح الدين، وكركوك، وديالى متوعدين بدخول العاصمة بغداد.

وفي ضوء هذه السيطرة الجديدة أعلن تنظيم "داعش" إقامة (خلافته الإسلامية)، وأعلن دولته تحت مسمى "الدولة الإسلامية" أزال فيها الحدود بين العراق وسوريا، داعيا الفصائل (الجهادية) في مختلف أنحاء العالم لمبايعته. وبإعلانه (الخلافة) فقد سقطت بذلك كل إشارة جغرافية–سياسية.

إن "داعش" تخطى حدود كونه من إرهاصات الصراعات القائمة وأصبح مصدرا وحافزا لصراعات جديدة، من خلال الأراضي التي سيطر عليها، ودمجه الحرب السورية والعراقية في معركة واحدة كبرى، فضلا عن تهديد استقرار المنطقة ككل على نطاق واسع.[٤٧]

ثالثا/ آليات التوظيف:

إن القوة المنظمة التي تتمتع بها "داعش" في كل من العراق وسوريا يُدرك المطلع وحتى المتابع أن خلف هذا السر، دعم منظم، وتفكير وتخطيط استراتيجيين على أعلى المستويات، لا تستطيع حتى الدول الإقليمية القيام به.

إذ كشف "ادوارد سنودن" المتعاقد مع وكالة الأمن القومي الأميركي، إن الأخيرة وبالتعاون مع نظيراتها البريطانية "MI6" ومعهد الاستخبارات والمهمات الخاصة "الموساد" مهدت لظهور "داعش". اذ نشر موقع "ذي انترسيبت" تسريبات عن سنودن تؤكد تعاون هذه الأجهزة السابقة لخلق تنظيم إرهابي قادر على استقطاب المتطرفين من جميع أنحاء العالم في مكان واحد. وأظهرت وثائق مسربة من وكالة الأمن القومي، إن الأخيرة قامت بتنفيذ خطة بريطانية قديمة تعرف بـ"عش الدبابير" لحماية إسرائيل، تقضي بإنشاء تنظيم شعاراته إسلامية يتكون من مجموعة من الأحكام المتطرفة التي ترفض أي فكر آخر أو منافس له. وبحسب وثائق سنودن، فان الحل الوحيد لحماية إسرائيل يكمن في خلق عدو قريب من حدودها لكن سلاحه موجه نحو الدول الرافضة لوجودها.[٤٨]

ويكشف الكاتب "توني كارتالوشي" إن "داعش" أعدتها الإدارة الأميركية بمساعدة بعض القوى الإقليمية في المنطقة، وان هناك علاقة وثيقة سرية بين هذه الأطراف وتنظيم "داعش" التي تعد رأس الحربة العلنية في الهجوم الطائفي على كل من هو خارج تقاليدها في العالمين العربي والإسلامي. ويضيف "كارتالوتشي" ان تزايد العلاقات والمصالح بين إيران وسوريا والعراق، وموقعهم الاستراتيجي والتاريخي والإسلامي، ومناهضة إيران وسوريا للسياسة الأميركية وتهديدهما لإسرائيل دفع الولايات المتحدة وحلفاءها في المنطقة إلى ابتكار

تسعى من خلاله إلى تدمير قدراتها ومصادر ثروتها بحروب داخلية.[٤٩]

وفي هذا السياق ألتوظيفي لـ"داعش" يقول "جوستين بافوني" الضابط السابق في سلاح الجو الأميركي، إن الإدارة الأميركية تريد السيطرة على جميع الدول النفطية القديمة والجديدة في الشرق الأوسط. ويرى "بافوني" إن اوباما يوظف مال النفط العربي للسيطرة على المزيد من النفط في دول جرى اكتشاف الغاز والنفط فيها منذ سنوات أو أكثر، وبهذه الطريقة يريد تحقيق أرباح مالية للمصلحة الأميركية بتوظيف أموال نفط من دول الخليج بشراء السلاح ونشر الاقتتال الداخلي في دول مثل العراق وسوريا ومصر وليبيا ولبنان. ويزيد "بافوني" بان الولايات المتحدة قادرة على إعادة توظيف هذه الأموال في حروب تحقق لها المزيد من الأرباح دون أن تعرض أموال دافع الضرائب الأميركي لأي خطر.[٥٠] كما حدث سابقا.

وبذلك فان الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأميركية في "تفريخ" الحروب الداخلية وتوسيع دوائرها تتمثل بالمجموعات والمنظمات الإسلامية المتشددة نفسها التي تنشر الدمار والقتال في العراق وسوريا وعن طريق الحرب اللامتماثلة. فالأموال والأسلحة والدعم اللوجستي التي تحصل عليها منظمة كـ"داعش" توفر تجنيد الكثير من الأعداد من الدول الإسلامية العربية وغير العربية وزجهم في أي حرب لامتماثلة تعمل فيها "داعش".

وبذلك تحولت إستراتيجية الإرهاب وبشكل حاد إلى تدمير الخصم أو على الأقل الإنهاك المستمر لعناصر قوى الدولة، وهدفهم هو استنزاف وتدمير الدول وإحداث اكبر قدر ممكن من الخسائر.[٥١] ليصبح الإرهاب وتحت استخدامه الجديد "الحرب اللامتماثلة" سلاحا تستخدمه الولايات المتحدة كبديل عن الحروب التقليدية في صراعها واندفاعها نحو تحقيق أهدافها ومصالحها الإستراتيجية.

فتوظيف الإسلام السياسي* المتطرف والحركات الجهادية من قبل الولايات المتحدة لم يكن اليوم، بل وظفت الولايات المتحدة هذه الحركات في قتالها ضد السوفيات بالنيابة عنها. فالإسلام المتطرف أدى خدمات كبيرة للمشروع الأميركي في المنطقة بما في ذلك تقديم الذرائع الكافية لغزو أفغانستان واحتلالها، وها هم المتطرفون اليوم يقوم بإشعال اكبر فتنة طائفية عرفها العالمين العربي والإسلامي في العصر الحديث والمعاصر، بهدف إعادة رسم خارطة المنطقة. وبما يخلق جيوبوليتيك جديد للمنطقة، وتوزيع ديموغرافي جديد أيضا، يتفق والأهداف بعيدة المدى التي تسعى الولايات المتحدة الأميركية إلى تحقيقها.

وبهذا فان "داعش" فتح المنطقة أمام تحالفات جديدة، وخصومات جديدة. فمنطقة الشرق الأوسط ستدخل حقبة جديدة من الصراع والتناحر الطائفي والعرقي الذي يؤدي بالنتيجة في حال استمراره إلى تغير الخريطة الجيوبوليتيكية للمنطقة. ومن خلال الحروب اللامتماثلة التي يشهدها العراق وسوريا وكذلك ليبيا، وفي بعض الأحيان مصر.

والولايات المتحدة الأميركية ومن خلال توظيف "داعش" تستهدف إعادة رسم خرائط دول الشرق الأوسط وعلى أساس حروب طائفية وعرقية، خدمة لثالوثها الاستراتيجي وبما يضمن بقاءها اللاعب الأقوى، والقائد المهيمن في رسم الاستراتيجيات الدولية والإقليمية وما يستتبعها من هيمنة تجارية واقتصادية، وان الثغرة الممكنة لهذا الغرض تنبع من توظيف وإشعال الفتنة الطائفية والعرقية وبما يساعد في إعادة رسم الخرائط للمنطقة.

فالتوظيف "الداعشي" في حقيقته، يمثل جزء وآلية من آليات مشروع "الشرق الأوسط الجديد" الذي قدمته "كوندليزا رايس" في حزيران/يونيو ٢٠٠٦، والذي تضمن خلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى التي تبدأ من لبنان وفلسطين، فسوريا فالعراق، فالخليج فإيران وصولا إلى أفغانستان، إذ يهدف هذا المشروع إلى إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وفقا لحاجات الولايات المتحدة السياسية وأهدافها.[٥٢]

وفي هذا السياق جاءت تصريحات "جيمس وولسن" المدير الأسبق لوكالة الاستخبارات الأميركية، التي أكدت إن الحرب الأميركية على العراق لا تهدف فقط إلى مجرد إزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية أو حتى الإطاحة بنظام "صدام حسين" وإنما يُعد ذلك مجرد بداية لتنفيذ خطة أميركية متكاملة تهدف إلى تحقيق تحولات كبرى في منطقة الشرق الأوسط سعيا إلى تكرار تجربة أوروبا الشرقية في المنطقة بما في ذلك إشعال موجة من التحولات الداخلية في دول المنطقة.[٥٣] وهذا ما وصفه وزير الخارجية الأميركي الأسبق "كولن باول" بقوله "بيئة إستراتيجية جديدة في منطقة الشرق الأوسط"[٥٤] ستحدث تبدلا عميقا في المعالم السياسية للمنطقة.

وعليه فان رسم معالم هذه الخارطة الجديدة بدأت بالعراق، ومن ثم جاء الاستفتاء لتقسيم السودان، وذلك على ركام حرب داخلية طويلة وقاسية، اثر ذلك تم التسريع من وتيرة هذه العملية مع ولادة ما يسمى بـ(الربيع العربي)، وقيام ثورات وانتفاضات في العديد من الدول العربية، أدت إلى نشوء حروب داخلية وعدم استقرار في اغلب البلدان التي حدث فيها.[٥٥] وصولا إلى استخدام "داعش" في حربها

اللامتماثلة للتسريع من إعادة الرسم والهيكلة للمنطقة.

فإعادة تشكيل المنطقة لا تتضمن جانب دون آخر، فهي تشتمل على إعادة تشكيل المناخ السائد فيها، ومحوره تصفية الإرث الأيديولوجي والتنظيمي والجيوبوليتيكي القومي العربي والإسلامي، وفرض تصورات تتفق ومنطق المصالح الأميركية المستقبلية في المنطقة.[٥٦]

ووفقا لذلك فان إعادة تشكيل المنطقة يقوم على أساس إستراتيجيتين أميركيتين متداخلتين وهما: مفاتيح التدخل، والفوضى الخلاقة. فالإستراتيجية الأولى تقوم في البحث عن بؤر التوتر، وإشعال الصراعات الإقليمية في مناطق نفوذ القوى الأخرى، ثم يأتي التحكم في هذه الصراعات عن طريق الإنهاك الجماعي للقوى الإقليمية المتصارعة، ومن ثم التدخل الأميركي ليصبح خاتمة لهذه النزاعات بعد ضمان سيطرتها على منطقة النزاع مستغلة قوتها العسكرية لحسم الصراع، وقدرتها الاقتصادية للسيطرة على المنطقة.[٥٧] ومفاتيح التدخل تنطلق من مسلمة أساسية في المنطقة، تقوم على فكرة إن غالبة دول المنطقة تنظر إلى الولايات المتحدة بوصفها الضامن النهائي والأخير لأمنها، والقوة التي يجب أن تكون الأكثر اقتدارا على مساعدتها في تحقيق أهدافها، ووجه المفارقة هنا، هو أن المنطقة إذا تزداد اضطرابا وعدم استقرار، بسبب عثرات الولايات وأخطائها بالدرجة الأولى، تتعاظم الحاجة إلى القيادة الأميركية.[٥٨]

أما الفوضى الخلاقة، وكما قدمتها مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأوسط، فأنها تنطلق من فكرة تشجيع وإشاعة حالة الغليان وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط.[٥٩] وهذا كما وضحته "كونداليزا رايس" في مشروع الشرق الأوسط الجديد. فالفكرة الأساسية للفوضى الخلاقة ضرب القيم المحلية فيما بينها من خلال إدخالها في حالة صراع مستمر، لتنتج لنا فيما بعد قيم جديدة تتواءم والقيم الغربية. لذلك فان أفضل آلية لهذه الإستراتيجيتين تكمن في الحرب اللامتماثلة ومن خلال توظيف داعش لإثارة بؤر التوتر والصراعات –مفاتيح التدخل– التي تؤدي إلى حالة عدم الاستقرار –فوضى خلاقة– من خلال إثارة النعرة الطائفية والاثنية والتي تعد منطقة الشرق الأوسط أرضها الخصبة.

وعليه فان إثارة بؤر التوتر والصراعات لأشاعت عدم الاستقرار ما هي إلا تعبير عن رسم خرائط لظاهرة جيوبوليتيكية محورية.[٦٠] إذ نشرت مجلة القوات المسلحة الأميركية تقريرا خطيرا يتحدث عن عملية تغيير لمعالم الشرق الأوسط من الناحية الجغرافية.[٦١] وهذا ما أكدته صحيفة "نيويورك تايمز" عندما نشرت

في ٢٨ ايلول/سبتمبر ٢٠١٣، خريطة لخمس بلدان في المنطقة قالت إنها ستصبح أربع عشرة في التقسيم الجديد للشرق الأوسط، وبحسب الخارطة فان السعودية، وسوريا، والعراق، وليبيا، واليمن هي الدول التي سيشملها التقسيم المفترض.

لقد أكد الكاتب الأميركي "باراج خانا" : بأنه يجب إن تنفذ كل الانقسامات القادمة بالترافق مع تطبيق مزيج من سياسة المشرط والفأس، أي بالمرونة والقسوة معا، وفوق كل ذلك يجب أن يدرك العالم إن هذه الانقسامات لا مفر منها.... لكن في زمن تستطيع فيه أي جماعة ان تكتسب أدوات المقاومة العنيفة، يبقه البديل الوحيد لتقرير المصير يتمثل في الصراع الدائم".[٦٢]

ولتبرير هذا الانقسامات وإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط، أكد نائب رئيس هيئة الأركان للاستخبارات العسكرية الأسبق "رالف بيرز" بقوله " إذا لم يكن ممكنا تعديل حدود الشرق الأوسط الكبير بحيث تعكس الروابط الطبيعية المستندة إلى الدم والعقيدة، فيجب أن نتقبل حقيقة تنص على أن جزءا من الدم المسفوح في هذه المنطقة سيكون على حسابنا نحن الأميركيين... إذا لم تصحح الحدود بشكل تعكس فيه قدرة الشعوب، سيستمر جيشنا في قتال الإرهاب من أجل أمننا، ومن اجل السعي نحو الديمقراطية، وإيجاد ممر إلى النفط".[٦٣]

وعليه فان إعادة رسم منطقة الشرق الأوسط من خلال الحرب اللامتماثلة وبتوظيف "داعش" يتيح للولايات المتحدة ثلاث ركائز أساسية هي:[٦٤]

١. خلق شكل إقليمي جديد تضطلع الولايات المتحدة بدور كبير في رسمه بما يخدم رؤيتها الجديدة للمنطقة، وذلك من خلال إعادة بناء وهيكلة قواعد اللعبة السياسية في المنطقة لصالح قوى جديدة، وهو ما قد يتم من خلال آليتين هما : تفكيك تحالفات قديمة وإنشاء تحالفات ومحاور جديدة، وهو ما يتضح من خلال السعي الأميركي لتفكيك المحور الإيراني السوري اللبناني. والآلية الثانية هي تقليل الاعتماد على القوى والأحلاف التقليدية وخلق حلفاء جدد.

٢. إيجاد بيئة إقليمية جديدة تتناسب والرؤية الإصلاحية للولايات المتحدة الأميركية، بحيث تدعم المبادئ والتوجهات الفكرية لديها.

٣. انخراط الولايات المتحدة في المنطقة بحيث تصبح الفاعل الرئيس والرقيب الأساس على تصرفات وسلوكيات دول المنطقة، وذلك من خلال استراتيجيات ومبادرات ومناورات ذات مسميات مختلفة بهدف تدعيم التوجه نحو تنقية الأجواء الشرق أوسطية.

وبذلك مثلت "داعش" وبعدّها تنظيم خارج إطار الدولة وضمن إستراتيجية الحرب اللامتماثلة، الوسيلة المناسبة لأشاعت بؤر التوتر والصراعات المذهبية والطائفية والاثنية لتجسيد حالة عدم الاستقرار، والاحتراب الداخلي، وبما يحقق في النهاية إعادة رسم وهيكلة وبناء شرق أوسط جديد يتناسب والرؤية الأميركية وبما يحقق أهدافها ومصالحها ويتفق وتوجهات بعيدة المدى.

الخاتمة:

للولايات المتحدة الأميركية مصالح حيوية في الشرق الأوسط تجسدت في "الثالوث الاستراتيجي" والمتمثل في المصالح الجيواستراتيجية والذي يتيح لها الإدارة الإستراتيجية في المنطقة والأقاليم المحيطة بها. والمصالح الاقتصادية والمتجسدة في النفط وفوائضه والتبادل التجاري والاستثمارات. وضمان أمن إسرائيل بوصفها الحليف الاستراتيجي لها. ولإدامة استمرار هذه المصالح الإستراتيجية جاءت آلية مكافحة الإرهاب للتوغل الأميركي المتزايد في منطقة الشرق الأوسط.

وضمن هذه الآلية ما لبث أن الولايات المتحدة ابتكرت طريقة جديدة أكثر فاعلية ونجاعة للتحكم في ميكانيزمات المنطقة، وهي استخدام الفواعل خارج إطار الدولة، واستعمالها تحت إستراتيجية جديدة تجسدت في الحرب اللامتماثلة، وبتطبيق على ارض الواقع من خلال "داعش"، فالتوظيف الجديد يحقق للولايات المتحدة الأميركية العديد من المزايا:

أولا/ إعادة رسم وصياغة المنطقة من جديد وبما يضمن لها تحقيق "الثالوث الاستراتيجي".

ثانيا/ المزيد من التغلغل والسيطرة في سياسات المنطقة الحالية والمستقبلية.

ثالثا/تتيح "داعش" للولايات المتحدة تواصل تدخلها في المنطقة ولكن من وراء الكواليس، وستواصل أيضا قيادة الحلفاء والعملاء من الخلف بدلا من اتخاذ خطوات أحادية وصريحة.

رابعا/ التخفيف من حدّة الأعباء المالية، فالحرب اللامتماثلة هي حرب بالنيابة أو بالوكالة عن الولايات المتحدة، بدلا من استخدام القوات العسكرية الأميركية مباشرة.

خامسا/ التقليل من الخسائر البشرية في حالة لو اشتركت في حرب تقليدية.

سادسا/ عكس التركيز والاتجاه الاستراتيجي للتنظيمات الإرهابية، لتجميعها في منطقة الشرق الأوسط بدلا من التوجه إلى الولايات المتحدة وتنفيذ أعمال إرهابية فيها.

سابعا/ التخفيف من حدّة الانتقادات الموجهة إلى السياسة الأحادية التي اتبعتها الولايات المتحدة في استخدام قوتها العسكرية.

ثامنا/ استنزاف القوى الإقليمية الرئيسة في المنطقة بل وحتى الدول الكبرى في صراع طويل الأمد.

تاسعا/ التخفيف من حدّة الضغوط الموجهة من قبل الرأي العام العالمي والداخلي حول السياسات الأميركية في المنطقة.

وأخيرا/ كلما زاد عدد الدول والكيانات في المنطقة، كلما أزداد الأمن الإسرائيلي بجعلها القوى الرائدة والرئيسية فيها.

الهوامش:

[١] محمد المصري: الحرب اللامتماثلة ونظرية الأمن الإسرائيلي ٢٠١٤، عن شبكة المعلومات الدولية "الانترنيت" http://alma3raka.net/spip.php?article106

[٢] عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت: http://en.wikipedia.org/wiki/Asymmetric_warfare

[٣] David L.Buffalde: Defining Asymmetric Warfare, The Institute of LAND Warfare, Association of The United state Army, Paper Virginia, No.58, September 2006,p. 3

[٤] نقلا عن محمد المصري: مصدر سابق ذكره

[٥] المصدر نفسه

[٦] المصدر نفسه

[٧] Ropert R.Tomes: Relearning Counterinsurgency Warfare: Parameters U.S Army War College, Sprang 2004,p.6

[٨] Ibid, p6-7

[٩] David L.Buffalde: Op, Cit, p.13

[١٠] Ibid, p.13

[١١] Ibid, p.17

[١٢] نقلا عن محمد المصري: مصدر سابق ذكره

[١٣] David L.Buffalde: Op, Cit, p.12

[١٤] Ibid,p.15

[١٥] Ibid , p.11

[١٦] Ibid, p.14

[١٧] Et Al Zhao: Anomalously Slow Attrition Times for Asymmetric Populations with Internal Group Dynamics, Physical Review Letters 103, October 2009,p.23

[١٨] محمد المصري: مصدر سابق ذكره

[١٩] Ekaterina Stepanova: Terrorism in Asymmetrical Conflict Ideological and Structural Aspects, Sipri Research Report No.23, Oxford Univ Press 2008,P.28

[٢٠] David L.Buffalde: Op, Cit, p.3

[٢١] Ibid, p.3

[٢٢] محمد المصري: مصدر سابق ذكره

[٢٣] فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني: السياسة الخارجية الأميركية حيال الخليج العربي بعد عام ٢٠٠٣، مركز

حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد، ٢٠١٢ ص٥

[٢٤] علي فايز يوسف الدلابيح: توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأميركي للعراق ٢٠٠٣-٢٠١١، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١، ص٣٨

[٢٥] نقلا عن خلدون ناجي معروف: جوانب أساسية من المصالح الحيوية الأميركية في المنطقة العربية، قضايا دولية، جامعة النهرين، ع(٢) ربيع ٢٠٠٢، ص٨٣

[٢٦] زبيغنيو بريجنسكي: رقعة الشطرنج الكبرى، السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا، ترجمة ونشر مركز الدراسات العسكرية،ط٢، دمشق، ١٩٩٩ ص٣٧

[٢٧] خلدون ناجي معروف: مصدر سابق ذكره ص ٨٣

[٢٨] بكر تنيره: الاتجاهات الجديدة للسياسة الخارجية الأميركية في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، ع(١٠٦) ٢٠٠١ ص٦٩

[٢٩] علي فايز يوسف: مصدر سابق ذكره ص١٦

[٣٠] نقلا عن فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني: مصدر سابق ذكره ص٥٩

[٣١] خلدون ناجي معروف: مصدر سابق ذكره ص٨٤

[٣٢] المصدر نفسه ص ٨٥، وينظر كذلك: سامي السياغي: السياسة الأميركية تجاه الإرهاب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، ٢٠٠٤ ص ص٨٠-٨١

[٣٣] فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني: مصدر سابق ذكره ص ص٣٥-٣٦، ينظر كذلك، حسين حافظ وهيب: إستراتيجية الإدارة الأميركية الجديدة إزاء الشرق الأوسط، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، ع(٤٦)، ص٦٢

[٣٤] ايزوبيل كولمن وتمارا كوفمن ويتس: التنمية الاقتصادية والسياسية في الشرق الأوسط، تدبير أمر التغيير وبناء نوع جديد من المشاركة، في ريتشارد ن. هاس وآخرون: استعادة التوازن إستراتيجية للشرق الأوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩ ص٢٢٧

[٣٥] فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني: مصدر سابق ذكره ص ٨

[٣٦] برادلي أ. تاير: السلام الأميركي والشرق الأوسط، المصالح الإستراتيجية الكبرى لأميركا في المنطقة بعد ١١ أيلول، ترجمة عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٨

[٣٧] خلدون ناجي معروف: مصدر سابق ذكره ص ٨٩، للمزيد ينظر، غازي حسين: الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥

[٣٨] سرمد عبد الستار أمين: رؤية إستراتيجية جديدة للأمن في الشرق الأوسط، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، ع(٢٩) كانون الأول ٢٠٠٥، ص٧٤

[٣٩] ريتشارد ن. هاس و مارتن انديك: انه وقت التجديد للدبلوماسية، نحو إستراتيجية أميركية جديدة في الشرق الأوسط، في ريتشارد ن. هاس وآخرون: استعادة التوازن إستراتيجية للشرق الأوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩ ص ص١٤-١٧

[٤٠] مروان بشارة: أهداف الولايات المتحدة وإستراتيجيتها في العالم العربي، سلسلة دراسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ع(١) آذار/ مارس ٢٠١٣ ص٢

[٤١] للمزيد ينظر ، محمد عبد الغفار: الإستراتيجية الإقليمية والدولية لأمن منطقة الخليج العربي، رؤية في محركات الصراع الاستراتيجي والتفاعلات الإقليمية معها، مركز البحرين للدراسات الإستراتيجية والدولية والطاقة، المنامة، ٢٠١٢، ص ص٢٤-٢٦

- بول ويلكينسون: العلاقات الدولية مقدمة قصيرة جدا، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، ص ص ٦٧-٨٧

[٤٢] كامل كاظم العضاض: تأملات ودروس من الهجمة الداعشية في شمال العراق، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت: www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=420946

[٤٣] المصدر نفسه، ينظر كذلك، محمد العمر: دولة البغدادي "داعش" ظروف النشأة ومعضلة التمويل، يونيو ٢٠١٤ ، ص٢

[٤٤] محمد عبد القادر خليل: التوظيف المتبادل، لماذا تصاعد الصراع العسكري بين المالكي وداعش؟، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤ ص٢

[٤٥] فيلكس لغراند: إستراتيجية داعش الاستعمارية في سوريا، مبادرة الإصلاح العربي، تموز/يوليو ٢٠١٤ ص١

[٤٦] الشبكة السورية لحقوق الإنسان: تنظيم دولة العراق والشام نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها، كانون الثاني ٢٠١٤ ص ص٢-٣

[٤٧] مجلة أميركية ترصد "داعش" بين الحقيقة والسراب، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت http://eshahed.com/main/news/88546

[٤٨] سنودن: عش الدبابير خطة مهدت لظهور داعش، بريطانيا خططت والموساد اشرف ودرب، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت http://burathanews.com/news/241801.htm/

[٤٩] تحسين الجلبي: داعش والتحالف مع واشنطن وأموال النفط العربي، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت www.alwatan.sy/view.aspx?id=18195

[٥٠] المصدر نفسه

[٥١] مختار شعيب: الإرهاب صناعة عالمية، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٣

* الإسلام السياسي يعني ربط السياسة بالدين، وإخضاع الممارسات الإنسانية بجميع جوانبها للمعايير العقائدية، وتطبيق المفهوم الجهادي للوصول إلى الأهداف المنشودة. للمزيد ينظر، فيصل عودة الرفوع: الغرب والصراع العربي–الصهيوني في ظل الإسلام السياسي، في احمد البرصان ومحمد صقر (محرران): التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ٢٠٠٠ ص٨٢

[٥٢] حسام الدين جاد الرب: خطط إعادة رسم الشرق الأوسط رؤية جيوبوليتيكية أميركية، دار النشر الالكتروني، جامعة اسيوط، ٢٠٠٧، ص ص٣١–٣٢

[٥٣] زينب عبد العظيم: الإستراتيجية الأميركية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب، في الإستراتيجية الأميركية بعد ١١ سبتمبر، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٣ ص ٨٤٩

[٥٤] نقلا عن برادلي ا. تاير: مصدر سابق ذكره ص٣٧

[٥٥] ألوف بن: تخدير، الشرق الأوسط في مرحلة الاعمار، في الشرق الأوسط خرائط جديدة ترسم، سلسلة ترجمة الزيتون ع(٧٤)، مركز الزيتونة، بيروت، ٢٠٠٧ ص٦

[٥٦] سرمد عبد الستار أمين: مصدر سابق ذكره ص٨٩

[٥٧] زبيغنيو بريجنسكي: الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوى العظمى الأميركية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧ص٧٠

[٥٨] ريتشارد ن. هاس ومارتن انديك: مصدر سابق ذكره ص١٨

[٥٩] شريف عبد الرحمن: الفوضى الأميركية الخلاقة أو الإصلاح من خلال الفوضى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٨، ص٥

[٦٠] باراج خانا: الانفصال قد يكون مفيدا، في الشرق الأوسط خرائط جديدة ترسم، سلسلة ترجمات الزيتون، (٧٤)، مركز الزيتونة، بيروت، ٢٠١٣ ص١٨

[٦١] محمد زباري مونس: الإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط بعد انتهاء الثنائية الدولية، دراسة في الجغرافية السياسية، كلية التربية للبنات، ٢٠١٢، ص١٥

[٦٢] باراج خانا: مصدر سابق ذكره ص٢١

[٦٣] رالف بيترز: حدود الدم، سلسلة ترجمات الزيتون، ع(٧٤) مركز الزيتونة، بيروت، ٢٠١٣ ص ص٢٧-٢٨

[٦٤] خليل العناني: دلالات التحول في خريطة الشرق الأوسط، في الإستراتيجية الأميركية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير القسم الثاني، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، شباط ٢٠٠٥ ص١٤